المثل الأعلى ـ ويحدثنا عنه ؛ لنعجب ونسبح ونسجد ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا* ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ﴾[1] .

ثم بعد حديث الظل وتقلصه وامتداده ، يجيء حديث الليل والنهار ﴿ **وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا** ﴾[2] .

تابعت ظلال الأشياء فى أوقات كثيرة وأنا هابط من الطائرة ، وهى لما تستقر على الثرى ، وظلها يسابقها أو هى تسابق ظلها ! قلت : أين كان هذا الظل ونحن فى الجو؟ لقد شاهدت ظلال الجبال ، وظلال السحب القريبة ، أما السحب العالية فلم أشهد لها ظلا ، يبدو أنه ليس هناك ما يمسك الظل المتبدد فى الفضاء ! !

لكن ظل الأرض السابحة فى جو السماء يجد ما يمسكه ، فوجه القمر يتشكل هلالا ، وتربيعا ، وبدرا ، حسب ما يستقبل من هذه الظلال . . .

وقرأت قوله تعالى : ﴿ **أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون** ﴾[3] . وقوله : ﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾[4] ! !

إن الحى القيوم يهب لكل ذرة فى الكون وجودها ، فهى عانية له ، مائلة إليه ، خاضعة بين يديه ، وهى فى الصباح والمساء طوع أمره مستكينة لسلطانه الأعلى !

فهل من الرشد استصغار هذا الملك ، واستدبار روائعه وآياته؟ إن الجهلة بالكون يحقرون عظيما ، ويتنقلون فى أرجائه كما يتنقل الفلاح بين معامل الكيمياء ، ومراصد الأفلاك ، ومصانع الذرة . .

ويمكن أن أسيغ من عبيد البقر أن يجهلوا الكون وربه ، ولكنى لا أسيغ أبدا من أتباع القرآن أن يعيشوا عجزة محجوبين ، بين أسرار الكون وقواه ، وما أودع الله فيه من مرافق ومنافع ! كيف وفى الصفحات الأولى من كتابهم : ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** ﴾[5] وقبل ذلك نداء عام للإنسانية كلها ، أن تعرف ربها وما قدمه للبشر من ثروات وخيرات . .

---

(١) الفرقان : ٤٥ ـ ٤٦ . (٢) الفرقان : ٤٧ . (٣) النحل : ٤٨ .
(٤) الرعد : ١٥ . (٥) البقرة : ٢٩ .